القصص

من صور الريف

كفـــارة . . . ! !

. . . نهار من أيام الخريف ، بدأ ثقيلاً طويلاً قاتماً ، ومضى عاصفاً صاخباً ، وأقبل الليل فسال الظلام على جوانب الكون كثيفاً مطبقاً ، الريح تعصف عنيفة باردة والسماء يغشاها سحاب أسحم ومطر سخي ، أوراق الشجر تساقط مستسلمة ، وسعف النخيل يتحدى العاصفة ، والعاصفة تداعبه وتعبث به ، فتشيع في أطراف الليل حفيفاً موحشاً يشبه أن يكون أنين أرواح هائمة في أودية العذاب ، أصوات الذئاب يتجاوب بها الصدى ، والكلاب ترد عليها بنباح قوي مختلط يتصل حيناً طويلا ، ثم ينقطع لحظات ، ثم يعود فيتصل ويختلط ، على أن هذه الأصوات المختلطة المبهمة كانت تنجلي أحياناً عن نداء أو غناء يردده أحد الفلاحين في حقل بعيد

سكون موحش يثير القلق ، ويحمل على الشك ، ويدفع الرهبة الى النفوس دفعاً . . . وقف بيومي قليلاً ثم تردد في استئناف السرى . . . لقد جسم له الوهم والخوف من الظلام أعمدة جاثمة تعترض الطريق كأنها المردة السود ، وكان بيومي يقف أحياناً يتطاول بعنقه ويرهف سمعه ويضرب بعينيه في صميم الظلام كأنما يبحث عن قبس أو هدى : إنه يحمل في جيبه مالاً كثيراً وهو يوجس خيفة ، وهو فوق هذا وذاك يحس شيئاً من الجوع والتعب وبينه وبين بلده ساعة وبعض ساعة فلماذا لا يبيت في بلدة «قلوصنا» وهي على بضع دقائق فقط ربما يسفر الصبح ؟ إن له صديقاً قديماً هو شيخ الخفراء وأكبر الظن أنه سيطعمه من جوع ويؤمنه من خوف ويهيىء له من أمره راحة وأمنا . . . ومن أحق بهذا من شيخ الخفراء ؟ ! ولكن بيومي لا يستريح الى هذا الحل ويتردد طويلاً قبل أن يبت فيه لأنه يعلم عن شيخ الخفراء ما ليس لنا به علم ، إنه يخشى أن يجيئه الهلاك من مأمنه ، فلشيخ الخفراء صحائف في ثبت الاجرام ، وأكبر اليقين أنه لا يتورع من أن يضيف اليها فصولاً جديدة . ولكن أتراه يعتدي على ضيف ينزل بداره ويلجأ اليه ؟ ربما ! وهو فوق ذلك صديقه ! ولنترك بيومي يضطرب بين الشك واليقين ويتصارع في نفسه الأحجام والأقدام فلعل الله أن يجعل له فرجاً من الضيق ، ومخرجاً من الحيرة ، ومن الخوف أمناً وهدى . . .

أما عبد الهادي شيخ الخفراء فهو رجل مديد القامة ، شديد البأس ، قوي مفتول ، له وجه تشيع في قسماته الصرامة ، وعينان ينبعث منهما التحدي والشر ، كان فيما فرط من أيامه يقطع الطرق ويهدد السارين ويسلب الناس ، ولم يكن يجد في القتل حرجاً ولا في السلب جناحاً ، بل إنه ليعدها من مفاخره . وعبد الهادي يثبت نظرية لمبروزو في المجرمين بالطبيعة criminel né فقد كان من القرويين الذين تغلب فيهم سيطرة الاجرام ، ويتحكم في رجولتهم شر أسود في لون هذا الليل العاصف المدلهم ، لم يكن يردعه قانون ولا دين ، ولا يمنعه عقل ولا عاطفة ، عين شيخاً للخفراء فزاد عبثه وما زال يصل أسبابه بأصدقائه القدماء من اللصوص والقتلة ، يغريهم بالناس ويدلهم على مواطن الصيد ويعهد لهم سبل الافلات . . .

واتصلت جرائمه واضطرب الأمن في بلده والبلاد القريبة ،

وفي الختام أهنئ صديقي صاحب (الملاح التائه) على كتابه البديع الذي قد تبوأ مكاناً ثابتاً خطيراً في الأدب العربي . واذا كان الأستاذ طه حسين قد قال عنه إنه مبتدئ فليس معنى هذا أنه ينقصه النضوج أو الجمال . فهذا واضح في الكتاب كل الوضوح . ولكن معنى ذلك في نظري أن لديه ما للمبتدئ من حماس ومن قوة ومن سعي وراء الكمال .

جوان لي بان عرصه

والناس يعلمون أن لعبد الهادى يداً فى كل شىء ، ولكنهم صامتون لا يهمسون ، لأن لعبد الهادى عيناً ترقب الثرثار ، ولأن الناس يدفعون هذا الصمت ثمناً لأرواحهم وأموالهم إشفاقاً من انتقامه ثم يؤدون اليه ما يفرض عليهم صاغرين اذا اختفت سوأتهم فترد اليهم من حيث يعلمون ولا يعلمون

أما بيومى فقد قلب الأمر غير مرة وانتهت المعركة فى نفسه أخيراً . . . وتغلبت على وساوسه نوازع الثقة فى الله ودوافع الخوف من السرى فى الظلام والبرد ، وتعاونت هذه الأسباب كلها على أن تسوقه الى بيت عبد الهادى ضيفاً . . .

طرق بيومى باب عبد الهادى فى رفق ففتح له وأحسن استقباله وقدم اليه طعاماً وأعقبه بالشاى مثنى وثلاث ، ثم سمر معه الى وهن من الليل وتركه ليجول فى البلد جولة بعد أن أوصى به ابنه سالماً أن يهيىء له فراشه فى المنظرة ، سهر بيومى وسالم ما طاب لهما وسمرا ماتشقق بينهما الحديث وشربا الشاى غير مرة ، ودخنا كثيراً ثم ثقلت أجفانهما وفترت أعضاؤهما ولحقهما الخول ، وأحسا الحاجة الى الراحة فقام كل منهما الى فراشه ، ونام بيومى بعد أن قرأ ما تيسر من القرآن وتوكل على الله وأسلم اليه وجهه

وعاد عبد الهادى بعد ماانتصف الليل وقد طوعت له نفسه أمراً ، وأحسب أن هذا الأمر قد اختصم فى نفسه طويلاً مع الواجب ، وأحسب أن بقايا المروءة المتناثرة فى زوايا قلبه قد تجمعت فانطلقت تقرع أذنيه فى عنف واتصال . . . ! ربما لم يسمع ، وأكبر الظن أنه سمع ، ولكنه سخر من ضميره وضحك من هذا الخور الذى لم يألفه فى أعصابه ، اتجه الى الباب ففتحه ودار ببصره فى الظلام والنجوم ، ثم أرسل ضحكة مكبوحة كأنها فحيح أفعى هائلة ثم انقلب إلى الداخل ثانية وأجمع رأيه قبل أن يبدو له مايرده إلى التكول أو التردد ، حمل الذئب (بلطته) وتسلل إلى المنظرة فدخل ثم وقف وأنصت وتقدم إلى النائم فناوله ضربات متصلة قطعت مابينه وبين العالم من أسباب الحياة

اضطرب القتيل قليلاً ثم ساد السكون مرة أخرى . . . !

وتحسس عبد الهادى جيب القتيل فلم يجد معه من المال قليلاً ولا كثيراً

عربته الدهشة . . ! أين اختفى المال الذى كان مع بيومى . ؟ لاشك أنه حفظه فى مكان ما فى نفس المنظرة . . . ولم يتردد عبد الهادى فى أن يخفى أثر الجريمة أولاً ... قلف الجثة وحزمها ثم حملها مطمئناً آمناً ، لأن الشك ينحسر عنه وإن فاض حول جميع الناس . . شيخ الخفراء طبعاً . . ! ! وللمرة الأولى أحس عبد الهادى رجفة تأخذ أعصابه وهماً مبهماً جاثماً يستبد بروحه ويضيق عليه أنفاسه ، وثورة صاخبة تصم أذنيه وتدور برأسه ... لقد أخذه الندم ! وأفاق ضميره ولكن متى . . . ! ؟ سمع عبد الهادى وقع حوافر الخيل تخب مسرعة وتناديه أن يقف . . إنهم العسس (الداورية) ! غامت الدنيا فى عينيه وملكه اليأس وأسقط فى يده ولم يملك إلا أن يتطامن للقضاء الأعلى ويعنو لارادة الله التى ترى كل شىء وتدبر كل شىء . . . ! قاتل ! وشيخ خفراء ! ! جريمة ذات شعبتين ، قاده الجند إلى منزله أولاً وعلى كتفه ضحيته .. وحسر الجند اللفائف وتفرسوا فى وجه القتيل وصرخ عبد الهادى وخر صعقا . . !

لقد قتل ابنه خطأ . . . ! واستيقظ بيومى فزعا فأدرك كل شىء ، وأعلن أنه كان ينوى أن يبيت فى المنظرة لولا أن سالما رأى أنها أرطبة لا تلائم الضيف فنقله إلى غرفة أخرى وأخذ مكانه فى المنظرة . !

وكان يوم الحكم فشرقت القاعة بالوفود ووقف القاتل فى القفص يبكى فى إطراق طويل وصمت صاخب ومرارة ملتهبة وحسرة لجوج ، وساد السكون فجأة لما ارتفع صوت القاضى يدوى فى القاعة قوياً جلياً هادئاً « أشغال شاقة مؤبدة » .

وقاد الجند الرجل المحطم الى قاعة النيابة فى أعلى المحكمة وهو لا يزال ينشج كالأطفال . . وغافل الرجل المحطم الحراس وألقى بنفسه من أعلى المحكمة فهوى خليطاً هامداً من اللحم والعظم ...

قلوصنا — محمود البدرى الفارصتارى

ديوان صر در

أخرجت دار الكتب المصرية « ديوان صر در » على مثال ماتخرجه من مطبوعاتها : من دقة التصحيح وحسن الطبع وجعلت ثمن النسخة منه للجمهور خمسين مليما ، ولباعة الكتب أو لمن يشترى عشر نسخ منه فاكثر أربعين مليما ، ويطلب من دار الكتب المصرية